الفصل الثاني:

التوجيهات التربوية من خلال خطاب الآباء للأبناء كما جاءت فى القرآن الكريم

محمود خليل أبو دف[1]

مقدمة:

القرآن الكريم كتاب الله الحكيم الذي نزل به الروح الأمين، صَنعَ -بفضل الله ورحمته- من أهل الجزيرة العربية أمّة جديدة تحمل رسالة الإسلام، وتنشئ حضارة تُغيِّر حالهم من جهل إلى علم، ومن ضعفٍ إلى قوةٍ، ومن فُرقة وتأخُّر إلى تآلف وتقدّم، ومن ذلّ وهوان إلى عزة وإباء، ولن يصلح حال الأمة الإسلامية اليوم إلاّ بما صلح به حال الأجداد من السلف الصالح. فليس هناك منهج غير المنهج الإلهي يستطيع أن ينهض بحاجات النفوس البشرية ويغذي عواطفها ومشاعرها ويتابع نموها وتطورها ويحقق لها الهداية الكاملة.[2]

وينفرد القرآن الكريم بأسلوبه الرائع في بناء العقيدة الإسلامية في النفس الإنسانية، فهو لا يستخدم العقل وحده ولا العاطفة وحدها، بل يربي العقل والعاطفة معاً، ويعمد التدرُّج في مخاطبة العقل البشري من المحسوس إلى المجرّد ومن الحاضر إلى الغائب، ثم ينتقل بعد ذلك إلى بيان حقيقة الموجد للمخلوقات وأنَّه هو المستحق للعبادة وحده دون سواه.[3] وقد أشار القرآن

---

(١) دكتوراه في أصول التربية الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية سنة ١٩٩٣م. أستاذ في قسم أصول التربية بالجامعة الإسلامية/ غزة. البريد الإلكتروني: mdaff@iugaza.edu.ps.

(٢) علي، سعيد إسماعيل. **أصول التربية الإسلامية**، القاهرة: دار السلام للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م، ص١١٨، ١١٩.

(٣) الأنصاري، عبد الرحمن بن محمد عبد المحسن. "معالم أصول التربية الإسلامية من خلال وصايا نعمان لابنه"، **مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة**، عدد١٠٥، ١٤٠٠هـ، ص١.

openkan.com

الكريم إلى بداية التكوين الأسري في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]. فالآية تحمل في طياتها الخطوط الأولى للتكوين الأسري، فالنفس الواحدة تُشتق منها نفسٌ أخرى لتتعاون النفسان في البناء المشترك، لتكوين خليّة اجتماعية صالحة تكون منطلقاً نحو مجتمع متماسك.(١) ونظراً لما تضطلع به الأسرة من دور تربوي فعَّال ومؤثّر عدّها كثيرٌ من العلماء المرجعية الرئيسة في حياة الأبناء، يستمدون منها قيمهم وأهدافهم ومعاييرهم وأساليب تصرُّفاتهم.(٢)

وصلاح الآباء مقدمة أساسية لصلاح الأبناء الذين يتحمّلون المسؤولية -بالدرجة الأولى- عن سلامة فطرتهم، لما يملكون من أثر كبير في تعليمهم وتوجيههم، كما عبر عن ذلك قوله ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسُّون فيها من جدعاء."(٣) وأشار القرآن الكريم إلى طبيعة الآباء الحريصة على هداية الأبناء، لما فيه خيرهم وتجنيبهم المفاسد والشرور، ودليل ذلك ما جاء في قوله تعالى -على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام-: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وحث الرسول ﷺ على إرشاد الناس وتوجيههم إلى أبواب الخير كما جاء في قوله ﷺ: "إن الدال على الخير كفاعله."(٤) وقد حفّز المولى

---

(١) كرم، عبد العال. **أثر العقيدة في بناء الفرد والمجتمع**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٢٩.

(٢) زيادة، مصطفى عبد القادر وآخرون. **فصول في اجتماعات التربية**، الرياض: مكتبة الرشد، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٢٧.

(٣) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، بيروت: دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات فهل يُصلى عليه، حديث رقم١٣٥٨، ج٢، ص٩٥.

(٤) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. **سنن الترمذي**، القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٩٧٥م، كتاب: أبواب العلم، ما جاء في الدال على الخير كفاعله، حديث رقم٢٦٧٠، ص٤١.

-سبحانه وتعالى- الآباء على تحمُّل مسؤولياتهم تجاه تربية الأبناء كما تبيّن في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴿٢١﴾ ﴾ [الطور: ٢١]. ويُعقّب السعدي على الآية السابقة بقوله: "وهذا من تمام نعيم الجنّة أن ألحق الله بهم ذريتهم الذين اتبعوهم بإيمان؛ أي: الذين لحقوهم بالإيمان الصادر من آبائهم فصارت الذريّة تبعاً لهم بالإيمان، فألحقهم الله بمنازل آبائهم في الجنَّة وإن لم يبلغوها جزاءً لآبائهم وزيادةً في ثوابهم، ولتقرّ أعين الآباء دون أن ينقص الله من أعمالهم شيئاً."(١) فالأبناء أمانة في أعناق آبائهم ينبغي أن يصونوها وألا يفرّطوا في أدائها رعايةً وإرشاداً وتوجيهاً، وهم سيُسألون أمام الله عن رعيتهم كما جاء في قوله ﷺ: "إن الله سائلٌ كل راعٍ عما استرعاه حفظ أم ضيّع."(٢)

ويشكّل وضوح مسار الأسرة المسلمة في حياتها وأساليبها التربوية أهمية كبرى في عصرنا الحالي في ظل التحديات الثقافية، وهي تسعى للمحافظة على الهوية الإسلامية للأبناء.(٣) ولن يتحقق للأسرة عنصر الوضوح فيما تقوم به من رعاية الأبناء وتوجيههم ما لم تنطلق من كتاب الله الحكيم، حتى تتميز تربيتها للأبناء وتنجح في بناء الشخصية المسلمة بكل أبعادها. ولقد حظي موضوع التوجيه التربوي باهتمام الباحثين، فتناولوه من زوايا مختلفة، من أبرزها: دراسة القاضي (٢٠١٢م) الذي تطرَّق فيها إلى الأهداف التربوية في وصايا لقمان لابنه كما جاءت في القرآن الكريم. واستعرض منصور (٢٠٠٣م) مجالات التوجيه التربوي من خلال خطاب الرسل لأقوامهم كما جاء في القرآن الكريم، في حين عرضَ النابلسي (١٩٩٤م) لأسس البناء في وصية لقمان لابنه.

---

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٨١٥.

(٢) ابن حبّان، محمد بن حبّان بن أحمد. **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨م، كتاب: السير، باب: الخلافة والإمارة، حديث رقم٤٤٩٢، ص٣٤٤.

(٣) بكار، عبد الكريم. **مسار الأسرة**، الرياض: مؤسسة الإسلام، ط١، ١٤٣٠هـ، ص٤-٨.

وقد أشار "الجندي" إلى تأثر الجيل المسلم في عصرنا الحالي بالتربية الوافدة مما جعله يواجه تحديات خطيرة وبخاصة في ظل انشغال الآباء والأمهات عن توجيههم وتربيتهم.[١] فالجيل المسلم غدا اليوم -في كثير من جوانبه- مقطوعاً عن الإسلام، خاضعاً لمناهج الدوائر العلمانية والمادية والغربية في التربية والتعليم.[٢] وتطرّق بعض الباحثين المعاصرين إلى العديد من الأخطاء التي يقع فيها الآباء فيما يخص تربية أبنائهم وتوجيههم، كإهمال نصحهم وإرشادهم، وتربيتهم على الميوعة والترف والبذخ، والقسوة عليهم في التعامل أكثر من اللازم، وعدم مخاطبتهم بأسلوب حسن.[٣]

وفي البيئة الفلسطينية، كشفت دراسة (أبو دف، أبو دقة) عن ممارسة الآباء لأخطاء متعددة ومتنوعة في تربية الأبناء في مجالي التوجيه التربوي للأبناء والأساليب التي يستخدمونها معهم، وكان من أبرزها: إهمال حثّ الأبناء على أداء الصلوات وإهمال التوجيه الأخلاقي، والحد من توفير فرص كافية للأبناء لمخالطة الناس، واستخدام الخشونة الزائدة في معالجة أخطائهم السلوكية، ومقاطعة الأبناء مدة طويلة، وتشجيعهم على تقليد بعض النماذج السلبية من الشخصيات.[٤] ومن خلال معايشة الباحث للواقع، لاحظ افتقار كثير من الآباء والأمهات لمهارات التوجيه التربوي السليم والمناسب للأبناء، فضلاً عن

---

(١) الجندي، أنور. **نحو بناء منهج البدائل الإسلامية للنظريات والأيدولوجيات والمفاهيم الغربية الوافدة المطروحة في مناهج التربية والثقافة والعلوم**، القاهرة: دار الاعتصام، ط١، ١٩٨٩م، ص٩٧.

(٢) عبد الحميد، محسن. **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري**، الدوحة: رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ط١، ١٤٠٤هـ، ص٣١.

(٣) الحمد، محمد إبراهيم. **التقصير في تربية الأولاد: المظاهر وسبل الوقاية والعلاج**، الرياض: دار ابن خزيمة، ١٤١٥هـ، ص١١-٣٠.

(٤) أبو دف، محمود. وأبو دقة، سنا. "أخطاء الأسرة الشائعة في تربية الأبناء من وجهة نظر طلاب الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية بغزة (تطوير أنموذج)"، **مجلة الجامعة الإسلامية بغزة، سلسلة الدراسات الإنسانية**، عدد٢، جمادى الأولى، ١٤٢٩هـ، ص٣٢٧-٣٧٥.

ممارسة أساليب منفِّرة مع الأبناء تقوم على العنف لا الرفق، وتغليب لغة الإلزام على أسلوب الإقناع، مما أوجد فجوة كبيرة بين الآباء والأبناء، وغدا تأثيرهم في الأبناء ضعيفاً في الغالب، بسبب فقدان الآباء بوصلة التوجيه التربوي الصحيحة المستمدة من كتاب الله العزيز وسنة نبيه ﷺ مما حفّز الباحث على الشروع في تناول هذا الموضوع في محاولةٍ منه لاستنباط التوجيهات التربوية المتضمنة في خطاب الآباء الموجّه للأبناء، الذي جاء في أربع عشرة آيةً من كتاب الله الحكيم، وتضمن مجالات حيوية متعددة: (المجال الإيماني والمجال التعبدي والمجال الاجتماعي). ويُقصد بالتوجيهات التربوية (إجرائياً) جملة النصائح والإرشادات الموجّهة من الآباء عبر خطابهم للأبناء -كما جاء في القرآن الكريم- بما يحقق لهم الاستقامة في حياتهم والسعادة في الدنيا والآخرة.

وتهدف هذه الدراسة إلى: الكشف عن أبرز التوجيهات التربوية المتضمَّنة في خطاب الآباء للأبناء كما جاءت في القرآن الكريم. واقتراح آليات لتطوير دور الأسرة المسلمة المعاصرة في التوجيه التربوي لأبنائها في ضوء خطاب الآباء للأبناء كما جاء في القرآن الكريم.

أولاً: أبرز التوجيهات التربوية المتضمنة في خطاب الآباء للأبناء كما جاءت في القرآن الكريم

من خلال استقراء الآيات المتعلقة بهذا الموضوع تم تحليلها وتصنيفها على النحو الآتي:

١- التوجيهات التربوية للأبناء في المجال الإيماني:

الجانب الإيماني عنصر أساسي في بناء الشخصية المسلمة الفاعلة والمتميزة، فالإيمان منبع الاستقامة التي لا تتحقق بغيره، ويتضح ذلك من خلال توجيه النبي ﷺ لسفيان بن عبد الله الثقفي حينما سأله: يا رسول الله، قل لي في

الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك؟ فقال له: "قل آمنت بالله ثم استقم."[1] "وتصدر عن الإيمان: الإرادة القوية والنشاط الخلاَّق، ومن خلاله يستشرف الإنسان لعالم الخلود."[2] والإيمان -بطبيعته- يؤدي إلى سلامة التفكير، في حين أن الأفكار المنحرفة مردّها إلى العقائد الفاسدة التي لم تثبت على دليل وبرهان بل على خرافات وأوهام.[3]

ويمكن تلخيص أبرز التوجيهات التربوية في المجال الإيماني -من خلال خطاب الآباء الموجه لأبنائهم كما جاء في القرآن الكريم- على النحو الآتي:

أ- الدعوة إلى توحيد الله ﷻ ونبذ الشرك:

ونلمس ذلك من خلال قوله تعالى -على لسان لقمان الحكيم-: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣]. لقد حذر لقمان ابنه من الشرك لكونه ظلماً عظيماً، وجاء في تفسير الآية السابقة أن الشرك عظيم؛ لأنه يساوي بين الله المستحق للعبادة وحده وبين من لا يستحقونها من الأوثان وغيرها من المعبودات.[4] والشرك بالله ﷻ ظلمٌ بحقه؛ لأنه يساوي بين من لا نعمة إلا منه ومن لا نعمة منه.[5] ومن

---

(١) ابن حبان، محمد بن حبان أحمد. **صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م، كتاب: الرقائق، باب: الأدعية، حديث رقم٩٤٢، ص٢٢١.

(٢) المصري، محمد أمين. **لمحات في وسائل التربية الإسلامية**، بيروت: دار الفكر، ط٤، ١٩٧٨م، ص١٤١.

(٣) مرسي، محروس السيد. "الأهداف التربوية من منظور إسلامي"، المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٧م، ج١، ص٤١٢.

(٤) لجنة من علماء الأزهر. **المنتخب في تفسير القرآن الكريم**، مصر: مؤسسة الأهرام، ط١٨، ١٩٩٥م، ج١، ص١٣.

(٥) البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ، ج٤، ص٢١٤.

وجوه كون الشرك عظيماً: "أنه لا أفظع ولا أبشع ممّن سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب، وسوّى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمن له الأمر كله، وسوّى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني عن جميع الوجوه."[1]

وأشار القرآن الكريم إلى إرشاد الآباء أبناءهم إلى الثبات على عقيدة التوحيد، ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢]. فالمقصود بقوله تعالى "لا تموتن إلا وأنتم مسلمون"؛ أي: على ملّة التوحيد والإسلام إلى الله،[2] فمن شأن أهل الحق والحكمة -الحريصين على صلاح أنفسهم، وصلاح أبنائهم، ودوام الحق في الناس- أن يوصوا أبناءهم بالثبات على التوحيد ليكونوا خلفاً عنهم في الناس.[3] وقد روي "أن النبي نوحاً لما حضرته الوفاة قال لابنه: إنِّي قاصٌّ عليك الوصية، آمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين؛ آمرك بـ"لا إله إلا الله"، فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفّةٍ ووُضعت "لا إله إلا الله" في كفّةٍ، رجحت بهنّ لا إله إلا الله."[4] ولأهمية غرس عقيدة التوحيد في نفوس الأبناء أمر الرسول ﷺ الآباء بإرشاد الأبناء إلى توحيد الله ﷻ منذ اللحظات الأولى لخروجهم إلى الحياة الدنيا، وكذلك التذكير بها في نهاية حياتهم؛ إذ جاء في الحديث النبوي الشريف: "افتحوا على صبيانكم أول كلمة بلا إله إلا الله، ولقّنوهم

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مرجع سابق، ص٦٤٨.

(٢) رضا، محمد رشيد. **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٥م، ج١، ص٣٨٥.

(٣) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. **التحرير والتنوير**، تونس: الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م، ج١، ص٧٢٧.

(٤) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م، حديث رقم٦٥٨٣، ص١٥٠.

عند الموت لا إله إلا الله، فإنه من كان أوّل كلامه لا إله إلا الله وآخر كلامه لا إله إلا الله ثم عاش ألف سنة ما سُئل عن ذنب واحد."[1]

ودعا نوح عليه السلام ابنه -الذي كان كافراً- إلى التوحيد والالتحاق بركب المؤمنين حتى لا يغرق مع الكافرين،[2] ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى -على لسانه عليه السلام-: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [هود: ٤٢]. ويُستفاد من الآية السابقة: ضرورة نهي الآباء أبناءهم عن مصاحبة الأشرار والمنحرفين من أهل الكفر والشرك وأن ينحازوا إلى صف المؤمنين ويختلطوا بهم ويلزموا صحبتهم حتى يقوا أنفسهم من الانحراف في الحياة الدنيا والهلاك في الآخرة.

ب- التعريف بقدرة الله تعالى وسعة علمه:

ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى -على لسان لقمان الحكيم- حينما خاطب ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان: ١٦]. ومعنى الآية السابقة: أنه لو كان للإنسان في تلك المواقع (السماوات والأرض) مثقال حبة من خردل، جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هو رزقه، فلا ينشغل في البحث عن الرزق عن أداء الفرائض.[3] وجاء في معنى (حبة من خردل): الخصلة من الإساءة أو الإحسان إن تك مثلاً في الصغر كحبة الخردل فتكن في صخرةٍ أو في السماوات أو في الأرض -مع كونها في أقصى غايات الصِغر- في أخفى مكان وأحرزه كجوف الصخر يأتِ بها الله؛ أي: يُحضرها ويحاسب

(١) البيهقي، أحمد بن علي بن موسى. **شعب الإيمان**، الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م، حديث رقم٨٢٨٢، ص١٢٨.

(٢) الصابوني، محمد علي. **مختصر ابن كثير**، بيروت: دار القرآن الكريم، ط٤، ١٩٨١م، ج٢، ص٢٢٠.

(٣) القرطبي، عمر بن يوسف بن عبد الله. **الجامع لأحكام القرآن**، القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ، ج١٤، ص٦٦.

عليها، فالله لطيف ينفذ علمه وقدرته في كل شيء، ويعلم كنه الأشياء فلا يُعسر عليه.[1] وتشير الآية السابقة إلى علم الله المحيط بالأشياء وبما احتوت عليه ضمائر العباد من البر وغيره، فإنه -سبحانه وتعالى- حكيم يضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها.[2] ولقد لفت الرسول ﷺ انتباهنا إلى علم الله الواسع واطلاعه على أعمال العباد مهما اجتهدوا في إخفائها من خلال قوله: "ولو أنَّ أحدكم عمل بعملٍ في صخرةٍ صمَّاء ليس عليه باب ولا كوَّة لخرج ما غيّبه للناس كائناً من كان."[3]

وفي ضوء المعاني والمغازي المتنوعة في الآيات السابقة يمكن استنباط عدد من الاتجاهات السلوكية الإيجابية التي يُفترض أن يجتهد الآباء في ترسيخها لدى الأبناء، نجملها في الآتي:

- ترسيخ الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ هو المتكفل برزق عباده وأن عليهم أن يجتهدوا في عبادته ولا يشغلوا تفكيرهم في قضية الرزق، ويؤكد ذلك قوله -جلت حكمته-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].
- الحث على الاستقامة في الأعمال السرية والجهرية استشعاراً لرقابة الله ﷻ على أعمال العباد، وقد جاء في التوجيه القرآني قوله تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وفي معرض آخر من كتاب الله العزيز قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤]. فالمراقبة لله تعني: "علم المؤمن بأن الله مطلع عليه ظاهراً وباطناً في كل وقت, فمن راقب ربه سبحانه أخلص

(١) القاسمي، محمد جمال الدين. **محاسن التأويل**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، ج٨، ص٣٠.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، ص٣٩٣.

(٣) ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، مرجع سابق، ص٤٩١.

له السر والعلانية، والظاهر والباطن في كل وقت من أوقات حياته."[1] والمؤمن الصالح الذي يراقب ربه في كل أحواله ويعلم أنه الله يراقب ظاهره وباطنه يستقيم سلوكه ويتأدّب ويتصف بصفة الحياء، ويفكر مليّاً قبل أن يُقدم على أي عمل متخيلاً عواقبه، وهذا من معاني الإحسان التي بيّنها الرسول المعلم ﷺ في قوله: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك."[2]

- التأكيد على الاستعانة بالله ﷻ في كل أمور الحياة، وقد خاطب الرسول ﷺ ابن عباس- بقوله: "يا غلام إنّي أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك إلا بشيءٍ كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفّت الصحف."[3]

ت- الدعوة إلى الإيمان بالبعث يوم القيامة:

ونلمس تلك الدعوة في الحوار الدائر بين الأبوين وولدهما الجاحد، والذي جاء ذكره في محكم التنزيل بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧]. لقد وجّه الوالدان ابنهما إلى الإيمان بالبعث بعد الموت و"هو أعظم إحسان يصدر من الوالدين لولدهما أن دعواه

(١) روشة، خالد السيد. **لذة العبادة**، الإسكندرية: دار المروة والصفا للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٥م، ص٤٨٣.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي، حديث رقم٥٩٠، ص١٩.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، مرجع سابق، أبواب صفة الجنة، حديث رقم٢٠١٦، ص٦٦٧.

إلى ما فيه سعادته الأبدية وفلاحه السرمدي."[1] وتدل الآية السابقة على أن الأبوين قد بذلا غاية جهدهما وسعيهما في هداية ولدهما حتى إنهما استغاثا بالله ﷻ، كما يستغيث الغريق ويسأل الشريق، وهما يعذلان ولدهما ويتوجعان له، ويبيّنان له الحق ويقدمان له الأدلّة ما أمكنهما.[2] ومن خلال تأمّل الآيتين السابقتين يتبين الآتي:

- صبر الأبوين على صلف ابنهما وخشونته وغلظته في مخاطبتهما.
- شدة حرص الأبوين على هداية ابنهما الضالّ.
- الاستعانة بالله ﷻ في تربية الأبناء وإرشادهم إلى أبواب الخير في سلوك دأب عليه الأنبياء والصالحون، نرى ذلك من خلال ما جاء على لسان نبي الله إبراهيم عليه السلام وهو يدعو ربه ﷻ ويستعين به من أجل صلاح نفسه وصلاح ذريته كما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾ [إبراهيم: ٤٠]. فالاستعانة بالله ﷻ لا تكون فقط على أداء الفرائض والعبادات، وإنما تكون -أيضاً- في مجال أداء الواجبات التربوية والإرشادية، وهذا السلوك -بحد ذاته- يعكس توكل الأب على الله -سبحانه وتعالى- في أداء واجباته التربوية تجاه أبنائه.
- في ضوء الأنموذج السابق، ينبغي أن تجتهد الأسرة في وقاية الأبناء من الانحراف العقائدي والفكري والمبادرة إلى تصحيح المفاهيم المغلوطة عن العقيدة لدى الأبناء -سواءً أكان ذلك عن جهل أم كان إصراراً وتعنّتاً منهم-، ولعل هذا الدور أصبح ملحّاً في عصرنا الحالي حيث تدفّق الأفكار والعقائد الفاسدة عبر وسائل الإعلام المتنوعة مما يجعل هذا الجيل مهدداً بشكل كبير في عقيدته وأساليب تفكيره.

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، ص٧٨١.

(٢) المرجع السابق، ص٧٨١.

ث- ترسيخ الإيمان بقَدَر الله النافذ في خلقه:

يتضح ذلك من خلال مخاطبة نبي الله يعقوب لبنيه -كما جاء على لسانه- في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧ ﴾ [يوسف: ٦٧].

يتضح من سياق الآية السابقة أن المقصود بحكم الله -سبحانه وتعالى- هو حكمه القدري الذي لا مفر منه ولا فِكاك، وقضاؤه الإلهي الذي يجري به قدره فلا يملك الناس فيه لأنفسهم شيئاً، وهذا هو الإيمان بالقدر خيره وشره.(١) أما أمرُ يعقوب عليه السلام أبناءه بألا يدخلوا من باب واحدة فذلك من قبل أخذ الحيطة والحذر؛ ذلك أنهم كانوا ذوي جمالٍ وهيئة حسنة ومنظر وبهاء، فخشيَ أن يصيبهم الناس بعيونهم؛ فإن العين حق تنزل الفارس عن فرسه، وهذا الاحتراز لا يرد قدر الله وقضاءه، فإن الله إذا أراد شيئاً لا يُردُ ولا يمانع.(٢) وقد جاء في التوجيه النبوي الشريف: "لا يُغني حذرٌ من قدر، والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيتلقّاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة."(٣)

ج- التأكيد على الأمل في رحمة الله وعدم اليأس منها:

وقد عبّر عن هذا التوجيه التربوي ما جاء -على لسان نبي الله يعقوب عليه السلام- في محكم التنزيل: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾ [يوسف: ٨٧]. لقد نهى نبي الله يعقوب عليه السلام أبناءه عن اليأس من رحمة الله ﷻ، وأبان لهم أن هذه الصفة من صفات الكافرين وأن الثقة بالله ﷻ منزلة عالية من منازل المؤمنين، و"لولا

(١) قطب، سيد. **في ظلال القرآن**، بيروت: دار الشروق، ط٩، ١٩٨٠م، ج٦٤، ص٢٠١٧.

(٢) الصابوني، **مختصر ابن كثير**، مرجع سابق، ج٢، ص١٥٦.

(٣) النيسابوري، أبو عبد الله عمر بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، حديث رقم١٨١٧، ص٦٦٩.

عظيم ثقة أم موسى بربها لما ألقت بولدها وفلذة كبدها في تيار الماء يتلاعب به أمواجه."[١]

ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن الثقة برحمة الله ﷻ وعنايته تحفّز الفرد المسلم على المبادرة إلى الأعمال والواجبات بقوة وصلابة ونفس مطمئنة. ولا تعني الثقة برحمة الله ﷻ -بأي شكل- السلبية والانكفاء وترك الأخذ بالأسباب، وهذا ما تأكَّد من الآية الكريمة السابقة؛ إذ أمر يعقوب عليه السلام أبناءه بالتحرك والمبادرة والتحسس الذي يعني: "السعي في الخير وطلبه بالحاسّة، على خلاف التجسس، فهو يكون في الشر وطلب الكشف عن العورات."[٢] لقد أمر يعقوب عليه السلام أبناءه بأن يجتهدوا في التفتيش عن يوسف وأخيه، ذلك أن الرجاء يوجب للعبد السعي والاجتهاد فيما رجاه، في حين أن الإياس يوجب التَّثاقُل والتباطؤ.[٣] فالتوكُّل على الله من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكُّل، ولكن من تمام التوكّل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها.[٤] وقد أمر المولى -سبحانه وتعالى- المؤمنين بالتوكل عليه في قوله ﷻ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [إبراهيم: ١١].

ويستفاد من المشهد التربوي السابق: ضرورة تعويد الأبناء على تحمّل المسؤولية، وممارسة العمل الجماعي القائم على التعاون لحل المشكلات التي تواجههم في الحياة، وتلك صورة جميلة من عمل الفريق لإنجاز المهام المطلوبة وتحقيق المصلحة العامّة.

(١) العلي، عبد المنعم صالح. **تهذيب مدارج السالكين**، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط٢٢، ٢٠٠٣م، ص٣١٢.

(٢) درويش، محيي الدين أحمد. **إعراب القرآن وبيانه**، بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٥هـ، ج٥، ص٤٤.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مرجع سابق، ص٤٠٤.

(٤) العلي، **تهذيب مدارج السالكين**، مرجع سابق، ص٣٠٤.

شكل رقم (1)

٢- التوجيهات التربوية للأبناء في المجال التعبّدي:

حدد القرآن الكريم الغاية العظمى من خلق الإنسان، وهي التي تتجلّى في عبادة الله ﷻ كما يتضح من قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وتُظهر لنا العبادات أعمالاً روحية عميقة الجذور ترتبط بمعانٍ سامية تنبع من فطرة الإسلام، وتقوم بتنظيم حياة المسلم. والسِّر في العبادات أنها ترتبط كلها بمعنى العبودية لله وحده وتلقِّي تعاليمه وأوامره، مما يعمل على توحيد نوازع الإنسان كلها وبرمجة النفس على الخضوع الدائم لأوامر الله. وتزوّد العبادات الإنسانَ دائماً بشحنات متتالية من القوة المستمدة من الصلة بالله ﷻ، والثقة بالنفس المستمدة من الثقة بالله، ويحرص الإسلام على استمرار هذه الشحنات الحيّة التي تعبّئ القلب وتنير له الطريق في أصعب الظروف وأحلكها، فينهض من كبوته كلّما تعثّر، ويستنير بنور العبادة والصلة بالله كلما أظلم ما حوله حتى يقصد عبادة الله في كل أعماله ومعاملاته.[1]

(١) النحلاوي، عبد الرحمن. **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، دمشق: دار الفكر، ط٥، ٢٠٠٧م، ص٤٨-٥٢.

ويمكن تلخيص أبرز التوجيهات التربوية في المجال التعبُّدي -من خلال خطاب الآباء الموجه لأبنائهم كما جاءت في القرآن الكريم- على النحو الآتي:

أ- الحث على العبودية الخالصة لله ﷻ:

ونلمح ذلك من خلال قوله تعالى -في حق نبيه يعقوب عليه السلام-: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، فالوصية في الآية السابقة تركزت في الحث على التزام عقيدة الوحدانية في العبادة وإسلام القلب لله تعالى والإخلاص له.[1] ومن الجدير ذكره في هذا المقام، أن العبودية لله ﷻ تُحرِّر الإنسان من كل أشكال العبودية لغيره؛ فهي تحرره من العبودية لنزواته وأهوائه كما يتضح من خلال قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣]. كما تقيه من الوقوع في شرك العبودية للأشخاص التي أشار إليها قوله ﷻ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [التوبة: ٣١].

والعبودية الخالصة لله ﷻ تقي الإنسان من الانزلاق إلى عبودية النزوات والشهوات المادية التي حذر الرسول المعلم ﷺ من الوقوع فيها بقوله: "تعس عبدُ الدينار، وعبدُ الدرهم، وعبد الخميصة تعِس وانتكس وإذا شيك فلا انتفش."[2] والعبودية الخالصة لله ﷻ تستوجب ألا يرائي العابد بعمله، وأن يبقى عمله خالصاً لوجه الله تعالى[3] امتثالاً لقوله: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

(١) رضا، **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، مرجع سابق، ج١، ص٣٨٥.

(٢) ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد. **سنن ابن ماجه**، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٧٥م، كتاب: الزهد، باب: في المكثرين، حديث رقم٤١٣٦٦، ص١٣٨٦.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، مرجع سابق، ص٤٨٩.

رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]. وقد أكّد الرسول ﷺ هذا السلوك التعبّدي من خلال قوله -حينما خاطب معاذاً-: "يا معاذ". قال: قلت: لبيك وسعديك. ثم قال مثله ثلاثاً، ثم قال: "هل تدري ما حق الله على العباد؟". قال: قلت: لا. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"، ثم سار ساعة، فقال: "يا معاذ". قال: قلت: لبيك وسعديك. قال: "هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟ ألا يعذِّبهم."[1] ومن الأشياء التي ينبغي أن يحذر الآباء أبناءهم منها: الوقوع في الشِّرك الخفي، اقتداءً بما فعل الرسول المربي ﷺ، فحينما خاطب عبد الرحمن أصحابه قائلاً: يا أيها الناس، إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفي. فقال معاذ بن جبل: اللهمَّ غُفْراً، أوَما سمعت رسول الله ﷺ يقول حين ودّعنا: "إن الشيطان قد أيس أن يُعبد في جزيرتكم هذه، ولكن يُطاع فيما تحتقرون من أعمالكم فقد رضي."[2]

وفي ضوء ما سبق، يفترض أن يعزز الآباء لدى أبنائهم اتجاهاً سلوكياً نحو الوقوف عند نيّاتهم، وتفحُّصها قبل الشروع في ممارسة الأعمال المختلفة حتى لا تُحبط أعمالهم. ومن المفارقة العجيبة أن يجتهد المربون في توعية الجيل بحقوقهم وحقوق الآخرين عليهم، في حين يغفلون عن تبصيرهم بحق الله ﷻ عليهم.

ب- الحث على إقامة الصلاة:

من العبادات الأساسية التي افترضها الله ﷻ على عباده الصلاة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ [النساء: ١٠٣]. وتُعدَّ الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام كما جاء في قوله الرسول ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الاستئذان، باب: من أجاب بلبيك وسعديك، حديث رقم٦٢٦١، ص٦٠.

(٢) البيهقي، **شعب الإيمان**، مرجع سابق، حديث رقم٦٤٣٦، ص١٦٩.

الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان."[1] وقد حث لقمان ابنه على إقامة الصلاة كما بين القرآن ذلك -على لسانه مخاطباً ابنه-: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧]، وخاطب المولى ﷻ المؤمنين بقوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [النور: ٥٦]. والإقامة من الناحية اللغوية تفيد المحافظة على الشيء وملازمته والثبات عليه.[2] ومعنى إقامة الصلاة: الإتيان بجميع حقوقها وشروطها من الناحية الشكلية الظاهرة، وأما قوام الصلاة من الناحية الجوهرية، فيُقصد به: التوجه إلى الله تعالى والخشوع الحقيقي له والإحساس بالحاجة إليه.[3] وقد حث الرسول ﷺ الآباء على أمر أولادهم بالصلاة في سن السابعة وضربهم على التقصير فيها إذا بلغوا سن العاشرة كما جاء في الحديث الشريف: "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع."[4]

وتجدر الإشارة هنا إلى نواحي الإعجاز التربوي المتمثلة في الآثار الطيبة المترتبة على إقامة الصلاة، ونُلخِّص أبرزها على النحو الآتي:

- التدريب على إتقان الأعمال، وهي قيمة إنسانية حضارية منبثقة عن تعاليم الإسلام، وقد حث القرآن الكريم على الإحسان ورغّب فيه في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وأرشد الرسول ﷺ المسلمين إلى أداء العمل على أفضل وجه وإتقانه في قوله: "يحب الله للعامل إذا عمل أن يحسن."[5] وعرّف الإحسان بأنه "إحكام العمل وإتقانه،

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي بني الإسلام، حديث رقم٦٨، ص١١.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر. **مختار الصحاح**، القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٠م، ص٣٠٢.

(٣) رضا، **تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير المنار**، مرجع سابق، ج٦، ص١١١.

(٤) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق. **سنن أبي داود**، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٨٠م، كتاب: الصلاة، باب: متى يُؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم٤٩٥٦، ص١٣٣.

(٥) الطبراني، سلمان بن أحمد بن أيّوب. **المعجم الكبير**، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٩٩٤م، باب: السلام، حديث رقم١٩٩، ص١٩.

ومقابلة الخير بأكثر منه والشرّ بأقلّ منه،"[1] فالصلاة تعوّد صاحبها على إتقان الأعمال، ذلك أن من شروطها أن تُؤدى بخشوع، عملاً بالتوجيه القرآني في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢]، والمغزى التربوي من المبادرة إلى أمر الصبي الصغير بالصلاة في السابعة ثم محاسبته عليها حالة تقصيره -عند بلوغ العاشرة- يُتيح الفرصة الكافية له حتى يتعلَّمها ويتقن أداءها بعد ممارستها مدة ثلاث سنوات، فأداء الصلاة يتطلب فهماً ومعرفة، وأداء سلوكٍ "نفس حركي" ليس سهلاً القيام به على الوجه المطلوب مع بداية سن السابعة.

- الصلاة وسيلة فاعلة في وقاية الأبناء من الانحراف السلوكي؛ لأنها تنهى عن الرذائل والمنكرات، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، و"وجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر أن العبد المقيم لها المتمم لأركانها وشروطها، وخشوعها يستنير قلبه ويتطهّر فؤاده ويزداد إيمانه وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر، وبالضرورة فإن مداومتها والمحافظة عليها -على هذا الوجه- تنهى عن الفحشاء والمنكر، وهذا أعظم مقاصدها وثمراتها."[2] ويشير قطب في "ظلاله" إلى أن المداومة على الصلاة توثّق صلة القلب بالله ﷻ، فيجد المُصلي لحياته غاية أعلى من أن تستغرق في الأرض وحاجاتها، ويتولّد لديه الشعور بأنه موصول بخالق المخاليق، وهذا بحد ذاته مصدر قوة للضمير وبلوغ التقوى.[3]

- تُمثِّل الصلاة قوة روحية نفسية تعين الفرد على تحمّل المصاعب والمواقف الضاغطة في الحياة بثبات، وقد أمر الله -جلت حكمته- عباده المؤمنين أن

(١) حجازي، محمد محمود. **التفسير الواضح**، بيروت: دار الكتاب العربي، ط١٠، ١٩٨٧م، ج١، ص٩٥٩.

(٢) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مرجع سابق، ص٣٢.

(٣) قطب، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج١، ص٤٠.

يستعينوا بها في قوله تعالى: ﴿ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٣]. لقد أمر الله تعالى المؤمنين بالاستعانة على أمورهم الدنيوية والدينية بالصبر والصلاة؛ فالصبر هو حبس النفس وكفّها عما تكره، وأمر الله تعالى بالاستعانة بالصلاة؛ لأنّ الصلاة هي عماد الدين ونور المؤمنين، فإذا كانت صلاة العبد كاملة مجتمعاً فيها ما يلزم فيها وما يُسن، وحصل فيها حضور القلب، استشعر دخوله على ربه ووقوفه بين يديه، مستحضراً لكل ما يقوله وما يفعله، فلا جرم أن هذه الصلاة من أكبر المعونة على جميع الأمور، فهذه هي الصلاة التي أمر الله أن يستعين بها على كل شيء.(١)

– الصلاة من الأسباب الرئيسة المؤدية إلى الراحة النفسية، وقد رُوي عن سالم بن أبي الجَعْد قال: قال مِسْعَرٌ –أراه من خزاعة–: ليتني صلّيت فاسترحت. فكأنهم عابوا عليه ذلك! فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها."(٢) وجاء في شرح الحديث: يستريح بأدائها من شُغل القلب لها، وقيل: كان اشتغاله بالصلاة راحةً له، فإنّه يعُدّ غيرها من الأعمال الدنيوية تعباً؛ فكان يستريح بالصلاة، لما فيها من مُناجاة الله تعالى.(٣) وعبّر الرسول ﷺ عن ارتياحه بالصلاة وسروره بها من خلال قوله: "حُبِّب إليّ من الدنيا النساء والطيب، وجعل قرة عيني في الصلاة."(٤)

– تُعوّد الصلاةُ الفردَ المسلم على النظام والانضباط من ناحيتين، الأولى:

---

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مرجع سابق، ص٧٤.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب: في صلاة العتمة، حديث رقم٤٩٨٥، ص٢٩٦.

(٣) أبادي، محمد شرف بن أمير بن علي بن حيدر. **شرح سنن أبي داود**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ج١٣، ص٢٢٥.

(٤) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. **المُجتبى من السنن**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٦م، كتاب: عشرة النساء، باب: حب النساء، حديث رقم٣٩٣٩٦، ص٦١.

كون المسلم مطالباً بأدائها على وقتها عملاً بالتوجيه النبوي الشريف حينما سئل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل؟ فقال: "الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، ثمّ الجهاد في سبيل الله."[1] والناحية الثانية، فإن الصلاة يستوجب أداؤها مراعاة الترتيب، مما يرسِّخ عند المصلي قيمة الانضباط والنظام وترتيب الأولويات، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف "إذا كبّر الإمام وسجد فكبّروا واسجدوا، فإن الإمام يسجد قبلكم ويرفع قبلكم."[2]

– إعلاء الهمّة؛ ذلك أن المداومة على الصلوات في أوقاتها يتطلب المثابرة والمجاهدة، ويوقظ الهمة العالية، ويعززها كما يبعث على النشاط والحيوية، وقد دلّ على ذلك حديثه ﷺ "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب كل عقدة عليك ليل طويل، فارقد فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدةٌ، فإن توضّأ انحلت عقدة، فإن صلّى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان."[3]

شكل رقم (2)

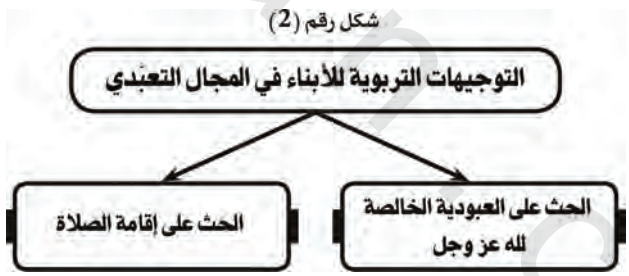

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: التوحيد، باب: سَمَّى النبي ﷺ عملاً، حديث رقم١٥٦، ص٩.

(٢) النسائي، **المُجتبى من السنن**، مرجع سابق، كتاب: التطبيق، باب: الإشارة بالأصبع في التشهد الأول، حديث رقم١١٧٢، ص٢٤١.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الجمعة، باب: عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يُصل بالليل، حديث رقم١١٤٢، ج٢، ص٤٢.

٣- التوجيهات التربوية للأبناء في المجال الاجتماعي:

البُعد الاجتماعي عنصر أساسي في الشخصية المسلمة كما أن "الوعي الاجتماعي في هذه الشخصية جزء من وعيها الشامل بالوجود كله (شاهده وغيبه، الفردي فيه والجماعي)؛ فالمسلم مدعو إلى الوعي الشامل من خلال التأمل والتدبر والتفكّر في ملكوت السماوات والأرض، وفي الحياة وما بعد الحياة، وهو مدعو إلى الوعي الشامل بالحياة الاجتماعية بكل أبعادها وتفاعلاتها."[١]

وتقوم الحياة الاجتماعية على دوافع غريزية فطرية كامنة في نفس كل إنسان. ومن الأمور البدهية أن الإنسان اجتماعي بطبعه، فالبشر لا يعيشون إلا مجتمعين يأنس بعضهم ببعض، كما أن الفرد البشري لا يستطيع -وحده- أن يستكمل كل ما يحتاجه لحياته من الضروريات دون الاعتماد على الآخرين، وقد أودع الله في غريزة كل أمة من الخلائق الانصياع إلى النظام الاجتماعي الذي يناسبها بغريزتها، والإنسان -وهو أمة من هذه الأمم- لا يعيش إلا منتظماً في جماعة،[٢] ولذا كان من أبرز مقاصد التنشئة الاجتماعية تشكيل أفراد إنسانيين قادرين على الاندماج في الإطار العام للجماعة، متكيفين مع أنماطها وقيمها.[٣] ولكون الأسرة أول من يحتضن الطفل الصغير، ويقدم له الرعاية ويكسبه لغة التواصل مع الآخرين في المجتمع؛ توجِب عليها ترسيخ البعد الاجتماعي في شخصيته وتحويله -تدريجياً- من كائن متمحور حول نفسه وحاجاته البيولوجية اليومية إلى كائن اجتماعي، ومن خلال تحليل الخطاب التربوي الموجه للأبناء من خلال الآباء في القرآن الكريم أمكن تحديد عدد من التوجيهات التربوية للأبناء في المجال الاجتماعي يمكن إجمالها على النحو الآتي:

---

(١) عثمان، سيد أحمد. **المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة**، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط٢، ١٩٨٦م، ص٢٨.

(٢) النحلاوي، عبد الرحمن. **التربية الاجتماعية في الإسلام**، دمشق: دار الفكر، ط١، ٢٠٠٨م، ص٢٠،٢١.

(٣) الجهني، حنان عطية. **الدور التربوي للوالدين في تنشئة الفتاة المسلمة في مرحلة الطفولة**، الرياض: إصدار مجلة البيان، ط١، ٢٠٠١م، ج١، ص٢٣٩.

أ- الالتزام بالآداب الاجتماعية في التعامل مع الآخرين:

الأدب هو اجتماع خصال الخير في العبد، وقيل: الأدب هو معرفة النفس ورعوناتها، وتجنّب تلك الرعونات.[١] فلا ينفع العلم بغير أدب، فالأدب هو: القيد الحسن الذي يقي الأخلاق من الانحراف والجنوح والشطط.[٢] وقال ابن المبارك: "من تهاون بالأدب عوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عوقب بحرمان المعرفة."[٣] وأما الأدب مع الخلق فهو معاملتهم -على اختلاف مراتبهم- بما يليق بهم.[٤] وقد حث الرسول ﷺ على كسب الناس وتأليف قلوبهم بحسن التعامل معهم من خلال قوله: "إنَّكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولْيسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق."[٥] وأوصى الرسول ﷺ أبا ذر رضي الله عنه بمخالطة الناس ومعاملتهم بخلق حسن كما جاء في خطابه له: "اتقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلقٍ حسن."[٦] ورغّب الرسول المعلم ﷺ الآباء بتأديب أولادهم من خلال قوله -مخاطباً إياهم-: "والله لأن يُؤدِّب أحدكم ولده خيرٌ له من أن يتصدّق كل يوم بنصف صاع."[٧] وقد خاطب ابن عمر -رضي الله عنهما- رجلاً بقوله: "أدِّب ابنكَ، فإنَّك مسؤول عن ولدك ماذا أدّبته وماذا علّمته، وإنه مسؤولٌ عن برّك وطواعيته لك."[٨]

---

(١) العلي، **تهذيب مدارج السالكين**، مرجع سابق، ص٣٩٧، ٣٩٨.

(٢) روشة، **لذة العبادة**، مرجع سابق، ص٣٨٥.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠٠.

(٤) العلي، **تهذيب مدارج السالكين**، مرجع سابق، ص٤٠٥.

(٥) النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، مرجع سابق، كتاب: العلم، حديث رقم٤٢٧، ص٢١٢.

(٦) الترمذي، **سنن الترمذي**، مرجع سابق، باب: ما جاء في معاشرة الناس، حديث رقم١٩٨٧، ص٣٥٥.

(٧) النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين**، مرجع سابق، كتاب: الأدب، حديث رقم٧٦٨٠، ص٢٩٢.

(٨) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. **السنن الكبرى**، لبنان: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، كتاب: الصلاة، باب: ما على الآباء والأمهات من تعليم الصبيان، حديث رقم٥٠٩٨٦، ص١٢٠.

ويمكن تلخيص الآداب الاجتماعية المتضمنة في خطاب الآباء لأبنائهم -كما جاءت في القرآن الكريم- على النحو الآتي:

- الحث على الصبر في التعامل مع الناس:

نلمس ذلك في خطاب لقمان لابنه، كما جاء في محكم التنزيل: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧]، فالصبر مطلوبٌ لما يصيبُ الداعية إلى الله تعالى من التواء النفوس وعنادها وانحراف القلوب وإعراضها، ومن الأذى الذي تمتد به الألسن وتمتد به الأيدي. وعزم الأمور يعني قطع الطريق أمام التردُّد فيها بعد التصميم.(١) فالصبر قوة خُلقية من قوى الإرادة تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمّل المتاعب والمشقّات والآلام، وضبطها عن الاندفاع بعوامل الضجر والجزع والسأم والملل والعجلة والرعونة والغضب والطيش. وبالصبر يتمكن الإنسان -بطمأنينة وثبات- من وضع الأشياء في مواضعها، ويتصرف في الأمور بعقل واتزان، ويُعدّ الصبر ضرورةً حياتيةً لكل عمل نافع وإيجابي.(٢) وامتدح الرسول ﷺ مخالطة الناس والتحلي بالصبر تجاه ما يترتب على ذلك من إيذاء بقوله: "المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم."(٣) ورغّب القرآن الكريم في خُلق الصبر كما جاء في قوله ﷻ: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠].

- التواضع للناس والتحذير من التعالي عليهم:

جاء على لسان لقمان الحكيم قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨].

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٩٠.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة. **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، دمشق: دار القلم، ط٣، ١٩٩٢م، ص٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي**، مرجع سابق، أبواب صفة الجنة، حديث رقم٢٥٠٧، ص٦٦٢.

والصّعر: داء يصيب الإبل فيلوي أعناقها -كنايةً عن الكبْر والازدراء-، والصّعر: إمالة الخد للناس في تعالٍ واستكبار.(١) وقد حث الرسول ﷺ المسلمين على التواضع فيما بينهم من خلال قوله ﷺ: "إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبغي أحدٌ على أحد، ولا يفخر أحدٌ على أحد."(٢)

- تجنّب الخُيلاء والإعجاب بالنفس:

جاء في قوله تعالى على لسان لقمان -وهو يخاطب ابنه-: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [لقمان: ١٨]. و"المشي في الأرض مرحاً هو: المشي في تخايل ونفخة وقلّة مبالاة بالناس، وهو حركة كريهة يمقتها الله ويمقتها الخلق، وهي تعبير عن شعور مريض بالذات يتنفس في مشيه الخيلاء."(٣) وفُسّر قوله تعالى: (مرحاً) في الآية السابقة أي بَطِراً فخراً بالنعم معجباً بنفسك.(٤) ولقد امتدح رب العزة المؤمنين المتواضعين مع الخلق في مشيتهم في قوله تعالى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وهوناً: متواضعين هينين بدون كبر ولا مرح ولا بطر.(٥) وقد حذر النبي ﷺ بشدّة من مرض العُجب معتبره من المهلكات في قوله: "أخوف ما أخاف على أمّتي ثلاثٌ مهلكاتٌ: شحٌ مُطاع وهوىً مُتّبع وإعجابُ كل ذي رأي برأيه."(٦) ويرى الباحث أن مرض العُجب من العوامل التي تفقد صاحبه سمة المرونة الفكرية، وتحرمه الاستفادة من خبرات الآخرين وتجاربهم، ومن ثمَّ تعيق تطوّر قدراته وإمكاناته.

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٩٠.

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، مرجع سابق، كتاب: الأدب، باب: في التواضع، حديث رقم٤٨٩٥، ص٢٧٤.

(٣) قطب، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٩٠.

(٤) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مرجع سابق، ص٦٤.

(٥) الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف. **أوضح التفاسير**، القاهرة: المطبعة المصرية، ط٦، ١٩٦٤م، ج١، ص٤٤٥.

(٦) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، القاهرة: دار السعادة، ١٩٧٤م، ج٢، ص١٦٠.

- مراعاة الاعتدال في المشي:

ونلمح ذلك من خلال قوله تعالى -على لسان لقمان حينما أوصى ابنه-: ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾ [لقمان: ١٩]. والقصد في المشي يعني: التوسّط فيه ما بين الإسراع والبطء، أي: لا تثبْ وثب الشُطّار ولا تدبَّ دبيب المتماوتين.[١] ويعقب قطب على الآية السابقة بقوله: "إن المشية القاصدة إلى هدف لا تتلكَّأ ولا تتبختر ولا تتخايل إنما تقضي مقصدها في بساطة وانطلاق.[٢] ومن ثمرات الاقتصاد في المشي: ادخار الطاقة البشرية والجهد والزمن، ومن ثمّ، الوصول إلى الهدف بأسرع وقت ممكن." ومن اللفتات التربوية في الآية السابقة، أن أمر لقمان ابنه بالقصد في المشي جاء بعد نهيه في الآية السابقة عن المرح في المشي، وهذا يُعد إرشاداً للآباء بألا يقتصروا على نقد السلوك السلبي لدى أبنائهم دون تقديم السلوك الإيجابي البديل حتى يكون توجيههم عملياً ومفيداً ومنطقياً.

- خفض الصوت في مخاطبة الناس:

ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى -على لسان لقمان الحكيم-: ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ ﴾ [لقمان: ١٩]، فالخفض من الصوت فيه أدبٌ وثقة بالنفس واطمئنان إلى صدق الحديث وقوته، ومن يزعق أو يُغلظ في الخطاب فهو سَيِّيء الأدب أو شاكٌ في قيمة قوله أو قيمة شخصه، فهو ضعيف الثقة في نفسه يحاول إخفاء هذا الضعف بانتهاج الحِدّة والغلظة وسلوك الزعامة.[٣] ومعنى أنكر الأصوات في الآية السابقة "أي: أفظعها وأبشعها، فلو كان في رفع الصوت البليغ فائدة ومصلحة لما اختُص بذلك الحمار الذي قد عُلمت خسّته وبلادته."[٤] ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن نهيق الحمار يقترن برؤية الشيطان، ولذا، كان من السُّنة عند سماع

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج١٤، ص٧١.

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٩٠.

(٣) المرجع السابق، ج٥، ص٢٧٩٠.

(٤) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مرجع سابق، ص٦٤.

صوته التعوذ بالله منه عملاً بالتوجيه النبوي الشريف: "إذا سمعتم صياح الدِّيكة فاسألوا الله من فضله، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوّذوا بالله من الشيطان؛ فإنه رأى شيطاناً."[1]

- التحذير من إفشاء ما ينبغي كتمانه من الأسرار:

لما أخبر يوسف أباه يعقوب -عليهما السلام- بما رأى في المنام أرشده إلى عدم البوح به، وقد عرض القرآن الكريم لنا هذا المشهد التربوي المتضمن نصيحة من الأب لابنه في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦ ﴾ [يوسف: ٥ - ٦]. ويشير الميداني إلى أن الكتمان وحفظ السر من فروع خُلق الصبر، وهو ضبط النفس ضد دوافع التعبير عما يختلج فيها، وله صلة بقوة الإرادة المستندة إلى صحة العقل وسلامة الرأي. ويكون الكتمان فضيلة نافعة إذا كان في أمرٍ ينبغي كتمانه وعدم إفشائه؛ لأن المصلحة المعقولة والمشروعة تقتضي كتمانه.[2] فمن الكتمان المحمود: ما جاء في وصية يعقوب لابنه يوسف -عليهما السلام- حينما أوصاه بأن لا يقصّ على إخوته رؤيته حتى لا يحسدوه ويدبروا له مكيدة لإهلاكه. والتدبير يكون ابتداءً من الشيطان -عدو للإنسان- الذي لا تفوته فرصة له فيضيعها، فالكيد من وسوسة الشيطان في النزغ بين الناس عندما تعرض له داعية من هوى النفس وشرّها الغريزي في الإنسان.[3]

ومعنى (يجتبيك ربُّك) أي: كما أكرمك بالرؤيا فكذلك يختارك لمعالي الأمور، فالاجتباء: اختيار معالي الأمور للمُجتبى، ويُقصد بإتمام النعمة هنا:

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: بدأ الخلق، باب: خير حال المسلم، حديث رقم٣٣٠٣، ص١٢٨.

(٢) الميداني، **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، مرجع سابق، ص٣٥٨.

(٣) رضا، **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، مرجع سابق، ج١٢، ص٢١٦.

نعمة النبوة والرسالة والملك والرياسة،[1] ويُستشف من خلال نُصح يعقوب لابنه يوسف -عليهما السلام بعد إخبار الأخير برؤيته- أنه من الضروري أن تتوفّر مساحة من العلاقة الحميمة القائمة على الثقة والانفتاح بين الآباء والأبناء، ولولا وجود مثل هذه العلاقة لما بادر يوسف إلى إخبار أبيه يعقوب -عليهما السلام- بما رأى في منامه، وبناءً عليه، ينبغي أن يتمثّل الآباءُ هذا الأنموذج المتميز في العلاقة مع أبنائهم، مما يساعدهم على حُسن إسداء النصيحة لهم، ومساعدتهم على مواجهة المشكلات التي تعترضهم في حياتهم.

وفي ضوء المشهد القرآني السابق يمكن اشتقاق بعض المهام التربوية -التي ينبغي أن تبادر الأسرة المسلمة إلى القيام بها تجاه الأبناء- نلخصها في الآتي:

- التذكير الدائم بعداوة الشيطان للإنسان, والحذر منه والمداومة على الاستعاذة بالله منه.
- الإفصاح للأبناء عما يتوقعه الآباء لهم من نجاحات في المستقبل، مما يعزز لديهم الصورة الإيجابية عن الذات، ويزيد من ثقتهم بأنفسهم وتهيئتها لتحقيق الإنجازات وإحراز النجاحات.
- التذكير بنعم الله العظيمة على الإنسان، والتحدث بها أمام الأبناء حتى يقتدوا بها في تذكُّر تلك النّعم وشكر المنعم عليها سبحانه وتعالى.
- ربط الأبناء بتاريخ الأجداد وتراثهم الوضّاء المشرف، حتى يظلوا على صلة بهذا التراث الأصيل متمسكين بقيمه ومقتدين بأهل الخير والرشاد ورواد الإصلاح في الشعوب والأمم، مما يسهم في ترسيخ الهوية الإسلامية والمحافظة عليها، ووقايتها من الاختراق الفكري الثقافي في عالم يضج "بالإيدولوجيات" والأفكار والمذاهب الهدّامة التي تستهدف احتلال عقول الأبناء وإفساد هويتهم.

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج٥، ص١١٩.

ب- توجيه الأبناء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

تميَّزت الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم بأدائها رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما بينه في قوله تعالى -واصفاً إياها-: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠]. و"الأمر بالمعروف هو كل ما أمرت به الشريعة، والمنكر هو كل ما حرّمته."[١] و"لقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: الكتاب والسنة وإجماع الأمة."[٢] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجسّد رسالة تربوية إرشادية للناس، من شأنها أن تعزز شيوع الأخلاق الفاضلة في المجتمع، وتعمل على انحسار الرذائل والمفاسد. وينبغي ألا يتباطأ الفرد المسلم في إنكار المنكر عملاً بالتوجيه النبوي الشريف: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان."[٣] لقد أكد الغزالي أن إهمال رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى شيوع الفساد وخراب البلاد وهلاك العباد.[٤]

ويكتسب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهمية كبيرة من خلال كونه من أهم المعايير الإسلامية لتقويم السلوك الفردي والجماعي، كما أنه يُسهم في تهيئة الظروف الاجتماعية الصحية اللازمة لتربية الشخصية المسلمة.[٥]

---

(١) عودة، عبد القادر. **الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م، ص٤٦.

(٢) النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى. **شرح صحيح مسلم**، القاهرة: دار الفكر، ١٩٨١م، ج١، ص٥١.

(٣) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. **المسند الصحيح المختصر**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، (د. ت.)، كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، حديث رقم٧٨، ص٦٩.

(٤) الغزالي، أبو حامد محمد. **مختصر إحياء علوم الدين**، بيروت: دار المعرفة، ط١، (د. ت.)، ص٢٨٥.

(٥) علي، **أصول التربية الإسلامية**، مرجع سابق، ص١٧٩.

ولقد أدرك لقمان -بحكمته- ضرورة توجيه ابنه وإرشاده إلى القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجاء ذلك -على لسانه- في قوله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [لقمان: ١٧]، وأجمل صورة للإنسان -الذي يمكن أن تصوغه التربية الاجتماعية الإسلامية- هي صورة ذاك الذي يصل إلى مستوى من النضج الخلقي والاجتماعي بحيث يصبح مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشر في نفسه وفي مجتمعه. وقد أثنى الإسلام على هذا النوع المتميِّز من الناس الذي يمتلك روح المبادرة ويمارس الفاعلية الاجتماعية كما نفهم من خلال حديثه ﷺ: "إن هذا الخير خزائن، ولتلك الخزائن مفاتيح، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحاً للخير مغلاقاً للشر، وويل لعبد جعله الله مفتاحاً للشر مغلاقاً للخير."[1] ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن التوجيه التربوي السابق -على لسان لقمان- تضمّن أمرين مهمين: أولهما تنمية روح الغيرة -في نفس الأبناء- على أحكام الدين وعلى تحقيق المصلحة العامة للمجتمع الإسلامي. وثانيهما: ممارسة برمجة نفسية وتهيئة للأبناء على تحمّل المسؤولية تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه، وعدم الاتِّصاف بالسلبية واللامبالاة حينما تنتهك الحرمات ويُتعدَّى على حدود الله ﷻ بممارسة أشكالٍ من المنكرات.

ثانياً: آليات المقترحة لتطوير دور الأسرة المسلمة في التوجيه التربوي لأبنائها

في ضوء التوجيهات التربوية التي تم استنباطها من خلال خطاب الآباء الموجّه للأبناء كما جاء في القرآن الكريم، يقترح الباحث الآليات التالية لتطوير دور الأسرة المسلمة في التوجيه التربوي لأبنائها:

١- العمل على إثراء الخطاب التربوي للآباء وترقيته شكلاً ومضموناً:

ويمكن أن يتحقق ذلك بمراعاة توافر المواصفات التالية في الخطاب التربوي للآباء:

(١) ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، مرجع سابق، باب: من كان مفتاحاً للخير، حديث رقم٢٣٨، ص١٨٧.

أ- الشمول والتنوُّع في الخطاب التربوي الموجه للأبناء؛ مما يساعد على تحقيق المقاصد التربوية. ونقصد هنا بالشمول والتنوع: ملامسة أبعاد وجوانب تربوية أساسية في شخصية الأبناء، وقد بدا ذلك واضحاً من خلال استهداف الخطاب التربوي -الموجه للأبناء في القرآن الكريم- لجوانب حيوية متمثلة في الجانب الإيماني والاجتماعي والأخلاقي، فضلاً عن اشتماله العديد من الفوائد والتوجيهات التربوية للمربّين، كما نلمس الشمول والتنوع في هذا الخطاب من خلال استخدام أساليب تربوية عديدة بما يتناسب مع الموقف التربوي ويراعي الفروق الفردية من الناحيتين الإدراكية والنفسية للمخاطب، فنلحظ استخدام لقمان أسلوب الموعظة الحسنة في مخاطبته ابنه كما جاء في قوله تعالى على لسانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣]، كما تضمن الخطاب التربوي للأبوين حواراً مع ابنهما الذي أنكر البعث كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧]. وفي موقف تربوي آخر أبدى نبي الله يعقوب نصيحة لابنه بألا يقصُّ رؤياه على إخوته كما جاء في قوله تعالى -على لسانه-: ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ ﴾ [يوسف: ٥]، واستخدم لقمان مع ابنه أسلوب الترهيب الممتزج بإثارة العاطفة حينما نهاه عن التكبر على الناس والخيلاء في المشي كما جاء في قوله ﷻ على لسانه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان: ١٨].

ومن الأساليب الراقية والمتميزة التي استخدمها الآباء في مخاطبة أبنائهم: أسلوب التعليل الذي يفسِّر ويوضح ويشرح الأثر السلبي المترتّب على ممارسة سلوك سلبي، ومثال ذلك: أن لقمان حينما نهى ابنه عن الشرك بيَّن له أنه ظلم عظيم، وحينما نصح يعقوب ابنه يوسف -عليهما السلام- بألا يقصَّ رؤياه على إخوته علل ذلك بمكيدة إخوته بفعل وسوسة الشيطان وتسويله لهم. وأبدع لقمان

حينما ربط خطابه التربوي بمشهد حي من الواقع كما اتضح من قوله تعالى -على لسانه-: ﴿ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٩]. ويعقّب صاحب الظلال على هذه الآية بقوله: "الأسلوب القرآني يُرذل هذا الفعل ويصيغه في صورة منفّرة محتقرة بشعة فيرسم مشهداً مضحكاً يدعو إلى السخرية مع النفور، فلا يكاد ذو حسٍّ يتصور هذا المشهد من التعبير المبدع ثم يحاول شيئاً من صوت تلك الحمير."(١) وحينما كان المقصد تعريف الابن بقدرة الله ﷻ وإحاطة علمه بكل شيء استخدم لقمان صورة حسية رائعة مستمدة من الواقع المشاهد، حينما تحدّث عن حبة من خردل مختبئة في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يعلمها الله سبحانه وتعالى. وقد عقّب صاحب "الظلال" على هذا الأسلوب بقوله: "ويظلُّ الخيال يلاحق تلك الحبّة من الخردل في مكامنها حتى يخشع القلب وينيب إلى اللطيف بخفايا الغيوب، ويتجلّى علم الله الذي يتابعها وتستقر من وراء ذلك تلك الحقيقة التي يريد القرآن إقرارها في القلب بهذا الأسلوب العجيب."(٢)

ومن مظاهر الشمول والتنوع في الخطاب التربوي للآباء: استهداف لقمان ابنه -في مواقف متعددة- فرداً بعينه باستخدام لفظة "يا بُني" (في خمسة مواقف)، وفي مواقف أخرى نجده يستهدف مجموعة من الأفراد باستخدام لفظة "يا بَنيَّ" (في ثلاثة مواقع) بما يعكس مرونة في الخطاب، التربوي تمكنه من مواجهة الحاجات التربوية المختلفة للفرد والجماعة على حدٍّ سواء.

ب- وضوح لغة الخطاب التربوي وسلاسته وبلاغته وقِصَره. ونلحظ هذه السمات بشكل واضح من خلال تتبع الآيات القرآنية التي اشتملت على نماذج متعددة من هذا الخطاب. ومن البدهيّ أن توافر هذه السمات فيه تساعد على توصيل الفكرة وإفهام السامع بيسرٍ دون عناء وجهد كبيرين.

---

(١) قطب، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج٥، ص٢٧٩٠.

(٢) المرجع السابق، ج٥، ص ٢٧٨٩.

ت- التزام الرفق والتودّد في الخطاب التربوي الموجه للأبناء: فنلمس الرفق في الخطاب التربوي الموجه للأبناء بصورة واضحة من خلال استخدام لفظة "يا بُني" و"هي تصغير لكلمة ابن في نداء العطف والتحبّب."[1] وتفيد كلمة بُني -كما أشار البيضاوي- التصغير والإشفاق.[2]

وكان مما امتدح به رب العزة نبيه محمداً ﷺ صفات اللين والرفق والرحمة بالمسلمين كما بينه في قوله ﷻ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. وأرشد الرسول ﷺ المسلمين بالتزام الرفق في قوله: "ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه، ولا كان الفحشُ في شيء قط إلا شانه."[3] واستخدام الرفق في التوجيه التربوي له أثر كبير في إصلاح النفوس والتأثير فيها واستلال الحقد منها وتعليمها الأدب والحياء.[4]

ث- ينبغي ألا يسير الخطاب التربوي الموجه للأبناء في اتجاه واحد في كل الحالات؛ إذ تقتضي بعض المواقف إعطاء الفرصة للأبناء حتى يبادروا بالمخاطبة، ومن ثم مناقشتهم والتعقيب عليهم وتقديم التغذية الراجعة لهم، وخير مثال على ذلك: التخاطب الذي حدث بين أبوين كريمين وابنهما الجاحد، والذي عقّب على خطابها، ثم قاما بالرد عليه، فصوّر القرآن الكريم لنا هذا المشهد الدال على التخاطب الفاعل بين الآباء والأبناء؛ فجاء في محكم التنزيل: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ۖ وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

(١) رضا، **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار**، مرجع سابق، ج١٢، ص٢١٦.

(٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، مرجع سابق، ج٤، ص٢١٤.

(٣) ابن حبان، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، مرجع سابق، كتاب: البر والإحسان، باب: ذكر الأمر بلزوم الرفق في الأشياء، حديث رقم ٩، ص٣١٢.

(٤) البقعاوي، صالح بن سليمان. **مبدأ الرفق في التعامل مع المتعلمين من منظور التربية الإسلامية**، الدمّام: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢١هـ.

ج - استمرار الخطاب التربوي للآباء خلال حياتهم دون توقُّف، ونلمس ذلك من خلال حرص يعقوب -عليه السلام- وهو على فراش الموت- على تذكير أبنائه بالثبات على العبودية الخالصة لله، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٣]. فالخطاب للأبناء ينبغي أن يكون مطرداً ومتواصلاً دون انقطاع، حتى وإن كان قليلاً وموجزاً، عملاً بالتوجيه النبوي الشريف: "سدّدوا وقاربوا، واعلموا أنه لن يدخل أحدكم عمله الجنة، وأن أحبَّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قل."[1]

ح - مراعاة التدرج -حسب الأولويات- في الخطاب التربوي للأبناء: ونلمس ذلك بوضوح من خلال خطاب لقمان لابنه في الآيات (١٣-١٩) من سورة لقمان؛ إذ بدأ بالجانب الإيماني، فحثّه على توحيد الله ﷻ وعرّفه بسعة علمه، ثم أرشده إلى إقامة الصلاة، ثم حثه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر في التعامل مع الناس والتزام الأدب. وأما الصورة الأخرى لمراعاة التدرج -وفق الأولويات- في أنموذج لقمان الخطابي، فقد تمثلت -في بدء خطابه- بما يخص علاقة الإنسان المسلم مع الله -سبحانه وتعالى- ثم علاقته مع الناس.

٢- العمل على إعادة نظم الخطاب التربوي للأسرة المسلمة:

ونقصد بذلك: توحّد الخطاب التربوي -الموجه للأبناء- في الأسرة المسلمة وانسجامه وقيامه على مبدأ التوافق بين الوالدين وخلوه من التناقض والاضطراب، مما يؤثر سلباً على الأبناء، فمن "سنن الإسلام في هذه الحياة أن يقوم الرجل والمرأة معاً بعمارة الكون وتعريف شؤون الحياة، فلا غنى للرجل عن المرأة ولا غنى للمرأة عن الرجل، ومن هنا، حثت تشريعات الإسلام

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الرقائق، باب: القصد والمداومة على العمل، حديث رقم٦٤٦٤، ص٩٨.

وتوجهاته على التعاون بينهما في كلِّ شيء."[1] فقد حث القرآن الكريم المؤمنين على التعاون فيما بينهم في أعمال الخير كما يتضح من خلال قوله ﷻ: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة: ٢]، فالخطاب التربوي للأسرة المسلمة ينبغي أن يكون قائماً على التعاون والتساند والتكامل امتثالاً للتوجيه النبوي الشريف: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً -وشبّك بين أصابعه-."[2] وقد ساق القرآن الكريم لنا أنموذجاً للخطاب التربوي المتوحّد القائم على أساس التعاون والتوافق والانسجام بين الأبوين؛ إذ جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِي وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأحقاف: ١٧].

ومما يعزز هذا النوع المتميز من الخطاب التربوي الأبوي اعتقاد الوالدين بضرورة تحمُّل المسؤولية المشتركة في رعاية الأبناء وتربيتهم، وتقاسم الأدوار بينهما امتثالاً للتوجيه النبوي الشريف: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله، وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعيةٌ في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راعٍ في مال سيده، ومسؤول عن رعيته."[3] ومن الجدير ذكره في هذا المقام، أن التزام الأبوين بالدين يشكّل قاعدة للتفاهم بينهما كما يوحّد اتجاههما وأهدافهما، ويساعدهما على تحقيق الأهداف التي يسعيان إلى بلوغها؛ إذ يجدان في أحكام الشرع المرجع الذي يحتكمان إليه ويطمئنان إلى حلوله السليمة.[4]

---

(١) الهاشمي، علي. **شخصية المرأة كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة**، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٦، ٢٠٠٠م، ص١٥٨.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، حديث رقم٤٨١، ج١، ص١٠٣.

(٣) المرجع السابق، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرآن والمدن، حديث رقم٨٩٣، ج٢، ص٥.

(٤) التميمي، عز الدين الخطيب. **فقه الأسرة في الإسلام**، عمّان: المركز الثقافي الإسلامي، ط١، ١٩٨٥م، ص٣٦.

ولا يتنافى تعاون الأبوين في مجال التوجيه التربوي للأبناء وتقاسمهما المسؤولية مع كون الرجل هو المسؤول التربوي الأول والقائد الموجه في هذا المجال، وهذا من مظاهر قوامة الرجل على المرأة كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤]. و"لا تعْني قوامة الرجل الاستبداد والتسلّط والقهر، بل هي ولاية النصح والتوجيه والرعاية والحماية."(١) وقوامة الرجل لا تعني إلغاء شخصية المرأة في البيت ولا في المجتمع الإنساني، فهي للرجل ذات مضمون أخلاقي ووظيفة داخل الأسرة لإدارة هذه المؤسسة وصيانة البناء الأسري وتمكين الزوجين من أداء دورهما في تربية الأبناء.(٢) وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦]؛ أي: وقاية النفس بإلزامها أمر الله، والقيام بأمره امتثالاً ونهيه اجتناباً، ووقاية الزوجات والأولاد بتأديبهم وتعليمهم.(٣)

وبناءً على ما تقدّم، فينبغي أن يتبادل الأبوان النصائح والخبرات ووجهات النظر في تربية الأبناءِ، وتوجيههم بما يحقق مصلحتهم ويجلب الخير لهم ويحقق الاستقامة في حياتهم، ومن الضروري أن يُنفّذ ذلك في إطار الاحترام المتبادل والحرص على عدم إظهار الاختلاف في وجهات النظر بينهما أمام الأبناء، بما ينعكس سلباً على أداء المهام التربوية المناطة بهما، ويخدش أو يشوّه الأنموذج الذي يفترض أن يظل ناصعاً متألّقاً في عيون الأبناء.

٣- اجتهاد الآباء ما أمكن في حيازة المواصفات الشخصية والمهنية المستمدة من معاني الحكمة:

من اللافت للانتباه أن بدايات سورة لقمان -وقبل استعراض مفردات

(١) شويدح، أحمد ذياب وآخرون. **النظم الإسلامية**، غزة، ط١، ١٩٩٧م، ص١١١.

(٢) قطب، **في ظلال القرآن**، مرجع سابق، ج٢، ص٦٥١-٦٥٣.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مرجع سابق، ص٨٧٤.

التوجيه التربوي التي تجسدت في مخاطبة لقمان لابنه- سُبقت بقوله تعالى في حقه: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [لقمان: ١٢]، وفي ذلك إشارة واضحة إلى منَّة الله عليه بتلك الحكمة، وكأن القرآن الكريم يهيئ نفوس المربين للاقتداء بحكمة لقمان في التربية وتلمُّس خطاه في مجال التوجيه التربوي للأبناء، وقد أشار القرطبي في تفسيره إلى: "أن الله تعالى أعطى لقمان الحكمة ومنعه من النبوة."[١] وقد سُئل وهب بن مُنبه أكان لقمان نبياً؟ قال: لا لم يُوحَ إليه، وكان رجلاً صالحاً.[٢]

وقد رغّب الرسول المعلم ﷺ المسلمين بحيازة الحكمة علماً وممارسة ذلك من خلال قوله ﷺ: "لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلّطه على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها."[٣] وقد نوّه القرآن الكريم إلى الخير الكثير في امتلاك الحكمة، فقال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وأشار الرسول المربي ﷺ إلى بعض مواطن الحكمة حتى يتم التماسها والاستفادة منها كما اتضح في قوله ﷺ: "ألا إنَّ من الشعر لحكمة."[٤] وأوصى علي ﷺ المؤمنين بألا يتردَّدوا عن أخذ الحكمة عن الآخرين بقوله: "العلم ضالّة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه."[٥]

---

(١) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، مرجع سابق، ج١٤، ص ٥٩.

(٢) ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد. **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، مكة المكرمة: مكتبة نزار الباز، ط٩، ١٤١٩هـ، ج٩، ص٣٠٩٧.

(٣) البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم٧٣، ص٢٥.

(٤) المرجع السابق، كتاب: الأدب، باب: ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره، حديث رقم٦١٥٤، ص٣٤.

(٥) القرطبي، أبو عمر بن يوسف بن عبد الله. **جامع بيان العلم وفضله**، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٩٩٤م، باب: جامع في الحال التي يُسأل بها العلم، حديث رقم٦٢١، ص٤٢١.

ويؤكّد "الشيباني" حاجة المربّين الماسّة إلى امتلاك الحكمة وتمثّلها في عملهم وإلى أبعد الحدود.[١]

وفي إطار ما سبق من التأكيد على لزومية الحكمة وضرورة توفرها لدى المسلمين بعامة ولدى المربّين بخاصة، سنعرض أهم مواصفات الشخصية الحكيمة التي يفترض أن يحوزها ويتمثلها الآباء وهم يمارسون التوجيه التربوي تجاه أبنائهم. ويمكن تلخيص أبرز هذه المواصفات من خلال استقراء معاني الحكمة –التي جاءت في عدد من تفاسير القرآن الكريم– على النحو الآتي:

- جاءت الحكمة بمعنى "الصواب في المعتقدات والفقه في الدِّين والعقل."[٢]
- وفسّرت الحكمة بأنها العلم بالحق على وجهه وحكمته، فهي العلم بالأحكام ومعرفة ما فيها من الأسرار والأحكام، فقد يكون الإنسان عالماً ولا يكون حكيماً، فالحكمة مستلزمة للعلم وللعمل، ولهذا فُسِّرت بالعلم النافع، والعمل الصالح.[٣]
- العلم الذي هو عنصر أساس من عناصر الحكمة هو العلم الشامل والنوعي؛ لكونه يحتوي على "كل ما تكْمُل به النفوس من العلوم والمعارف في أحكام الشرع،"[٤] وهذا يعني ببساطة أن الحكيم يُلم بعلوم الدنيا والدين.
- ومن معاني الحكمة: شكر الله تعالى وحمده على نعمه وحب الخير للناس، واستعمال الأعضاء فيما خلقت له من الخير والنّفع والهداية إلى المعرفة الصحيحة.[٥]

---

(١) الشيباني، عمر محمد التُّومي. **فلسفة التربية الإسلامية**، طرابلس: المنشأة الشعبية الليبية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٧٥م، ص١٤.

(٢) ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٤، ص٣٤٧.

(٣) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مرجع سابق، ص٦٤٨.

(٤) الزحيلي، وهبة مصطفى. **التفسير الوسيط**، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ، ج١، ص٥٩.

(٥) الزحيلي، وهبة مصطفى. **التفسير المنير**، دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٩٩١م، ج٢١، ص١٤٥.

- وقُصِد بالحكمة في مجال الدعوة إلى -الله تعالى-: حسن التصرف ومراعاة مقتضى الحال ودعوة الناس كلٍّ حسب حاله وفهمه.
- ويتطلب ذلك انتهاج أسلوب الدعوة بالعلم لا بالجهل والبدء بالأهم فالمهم.[1]
- ومن معاني الحكمة: القدرة على الفهم والتعبير.[2]

ومن خلال استعراض معاني الحكمة -كما جاءت في تفاسير آيات القرآن- أمكن استنباط وتحديد أبرز المواصفات الشخصية والمهنية التي ينبغي أن تتوفر في الآباء، حتى يتمكنوا من أداء دورهم في التوجيه التربوي للأبناء بكفاءة عالية، ونجمل هذه المواصفات على النحو الآتي:

- سلامة العقيدة.
- التفقه في الدين والإلمام بالأحكام الشرعية.
- التعقّل.
- الجمع بين العلم النّافع والعمل الصالح.
- الإلمام بالقدر اللازم من العلوم الشرعية والحياتية، وبما يخدم ويحقق بناء النفوس بطريقة شاملة ومتكاملة.
- شكر الله تعالى وحمده على نعمه.
- حبُّ الخير للناس والحرص على هدايتهم إلى السلوك الصحيح والمعرفة الصحيحة.
- تسخير الجوارح واستعمالها في مجال الخير ونفع الناس.
- حسن التصرُّف، ومراعاة مقتضى الحال وما يترتب عليه من مراعاة الفروق الفردية في التعامل مع الناس.

(١) السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان**، مرجع سابق، ص٦٤٨.

(٢) الصابوني، **مختصر تفسير ابن كثير**، مرجع سابق، ج٣، ص٥٤.

obeikan.com

- الانطلاق من قاعدة علمية معرفية رصينة عند دعوة الناس وتوجيههم وإرشادهم.
- مراعاة التدرّج في الدعوة والتربية.
- القدرة على الفهم والتعبير الجيد.

ومن خلال تأمُّل المواصفات السابقة -المستمدة من معاني الحكمة في كتاب الله تعالى- يتضح شمولها وتنوعها وجودتها؛ مما يجعل إحرازها ليس بالأمر الهين؛ إذ يحتاج إلى جهد ومجاهدة الآباء المربّين، مع الأخذ في الحسبان أن كثيراً منهم ليسوا مختصين في التربية، وأن بينهم فروقاً فردية في القدرات الإدراكية والظروف الحياتية، إلا أن ذلك لا يعفيهم من الأخذ بالأسباب وإطلاق المبادرة الذاتية لتحصيل -ما أمكن- من تلك المواصفات الشخصية والمهنية، بما يتناسب مع إمكاناتهم وظروف حياتهم، وبهذا الفعل يقتدون بالرسول ﷺ أسوتنا الأولى الذي انتهج الحكمة ببراعة تامة وهو يدعو الناس إلى الخير، ويجتهد في إرشادهم وإصلاح نفوسهم وتعليمهم الحكمة، وهو ﷺ الذي يبرمج نفوسنا على انتقاء أفضل الأمور وأجودها وأحسنها، والسعي الحثيث لبلوغها، كما اتضح من خلال قوله ﷺ: "إن الله يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفاسفها."[1] والأخذ بمعالي الأمور وانتقاء أحاسنها إنما يكون في إطار تكليف الله ﷻ لعباده الذي يقوم على أساس التيسير لا التعسير لقوله ﷻ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ومعنى الآية أي: لا يُكلِّف الله -من وقت نزول الآية- عباده من أعمال القلوب والجوارح إلا وهي وِسع المكلَّف وفي مقتضى إدراكه وبُنيته.[2]

---

(١) الطبراني، **المعجم الكبير**، مرجع سابق، باب: الحاء، حديث رقم٢٨٩٤، ص١٣١.

(٢) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، مرجع سابق، ج١، ص٣٩٢.

obeikan.com

٤- الإعداد التربوي للآباء المسلمين بصورة مستمرة:

فمن البدهيّ أن قيام الآباء بدورهم في مجال التوجيه التربوي للأبناء لا يصح أن ينطلق دون تهيئة وإعداد علمي ومهني ينمِّي إمكاناتهم وقدراتهم، ويرفع من مستوى كفاءاتهم، وهذا الإعداد ينبغي ألا يُترك لمحض الصدفة أو اجتهادات الأفراد والجماعات هنا وهناك، بل لا بدّ من أن يقوم على أسس علمية تتحوَّل إلى برامج عملية يُخطط لها جيداً، بما يليق بالمكانة التربوية للأسرة المسلمة التي تشكّل خط الدفاع الأول والحِصن الأمين للأبناء، والذي يجب أن يحتفظ بمركز الصدارة في رعاية الأبناء وتوجيههم مع عدم إغفال دور المؤسسات الأخرى في المجتمع، ويعتقد الباحث أن الإعداد التربوي للآباء ينبغي أن تتركَّز جهوده في محورين أساسيين، أولهما: الإلمام بقواعد وأساليب التوجيه التربوي الفاعل ومجالاته الأساسية والمهارات الأساسية للخطاب التربوي المتقن، والثاني في العمل على كسب وحيازة المواصفات الشخصية والمهنية اللازمة لممارسة التوجيه التربوي للأبناء في ضوء معاني الحكمة التي سبقت الإشارة إليها. ويقترح الباحث لتحقيق ذلك الآليات الآتية:

أ- اجتهاد الآباء الذاتي لترقية إمكانياتهم وكفاءاتهم التربوية:

ويعد هذا العنصر أساسياً ومهماً جداً لكونه يُعبِّر عن الاستعداد النفسي وامتلاك زمام المبادرة، ويعكس مستوى الإحساس بالمسؤولية والجدية في الوفاء بحقوق الأبناء على الآباء، ويمكن أن يتحقق هذه الاجتهاد الذاتي للآباء من خلال الممارسات الآتية:

- الاطِّلاع بصورة مستمرة على القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ والسيرة النبوية المطهرة وسِيَر الصحابة -رضوان الله عليهم- للوقوف على أساليب التوجيه التربوي الفاعل، والإلمام بأساليبه الناجعة، مع مراعاة صحَّة المصادر التي يتم الرجوع إليها ودرجة وثوقيتها، ويتطلب ذلك إلمام الآباء بالمهارات الأساسية لقراءة القرآن والسنة النبوية حتى يتشكل لديهم الفهم الصحيح الذي يؤدي إلى ممارسات تربوية سليمة مع الأبناء.

- المبادرة إلى سؤال أهل التخصص من العلماء الفقهاء والتربويين المتخصصين فيما يخص موضوع رعاية الأبناء وتوجيههم وإرشادهم عملاً بالتوجيه الرباني في قول رب العزة: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النحل: ٤٣]، ويمكن الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة لتحقيق هذا الغرض، كالهاتف المحمول والمراسلة عبر البريد الإلكتروني.
- الاقتداء بالنماذج الناجحة في مجال رعاية الأبناء وتوجيههم، والحرص على الاستفادة منها في تعديل ممارساتهم التربوية مع أبنائهم.
- اعتماد الآباء لأسلوب التقويم الذاتي لممارساتهم التربوية تجاه الأبناء من خلال استبانة، وقد قام الباحث بتصميمها وتصنيفها -إلى مجالين- على النحو الآتي:

استمارة تقويم ممارسات التوجيه التربوي للآباء

رقم الفقرة	الفقــرة	٣ بدرجة كبيرة	٢ بدرجة متوسطة	١ بدرجة قليلة
المجال الأول: مجالات التوجيه التربوي للأبناء:				
	أشرح لهم مفهوم توحيد الله ﷻ.			
	أحذّرهم من عواقب الشرك والرياء.			
	أؤكّد على مفهوم العبودية الخالصة لله ﷻ في الأقوال والأفعال.			
	أعرّفهم بقدرة الله ﷻ ومشيئته النافذة في الكون.			
	أتحدَّث لهم عن سعة علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء.			
	أحثّهم على مراقبة الله ﷻ في أعمالهم العلنية والسّرية.			
	أذكّرهم بيوم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء.			
	أزرع فيهم الأمل في الله ﷻ والرجاء فيه.			
	أحثُّهم على الاستعانة بالله ﷻ في جميع أمور حياتهم.			
	أحثّهم على إقامة الصلاة في أوقاتها.			

	أحثّهم على مخالطة الناس والصبر في التعامل معهم.			
	أحذّرهم من التعالي على الناس.			
	أحثّهم على الاعتدال في المشي وتجنّب الخيلاء فيه.			
	أبيّن لهم العواقب الوخيمة للإعجاب بالنفس.			
	أستحثُّهم على أداء واجبهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.			
	أنتقد سلوكهم حينما يتحدثون بصوتٍ عالٍ.			
	أنصحهم بكتمان الأسرار عند الحاجة إلى ذلك.			
المجال الثاني: الأساليب الفاعلة في التوجيه التربوي للأبناء:				
	ألتزم الرفق في مخاطبة الأبناء عند توجيههم وإرشادهم.			
	أُظهر للأبناء حرصي على هدايتهم ومصلحتهم.			
	أستخدم في توجيه الأبناء أساليب تربوية متنوِّعة.			
	أستمع لحديث الأبناء وأجيب عن استفساراتهم ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.			
	أنتهج مع الأبناء أسلوب الحوار القائم على الإقناع.			
	أتحدَّث مع الأبناء بلغة واضحة يفهمونها.			
	أخاطب الأبناء -عند توجيههم- بعبارات مختصرة ومحددة.			
	أراعي التدرج وترتيب الأولويات في توجيههم.			
	أستخدم أسلوب الموعظة الحسنة معهم.			
	أستخدم أسلوب الزجر والترهيب لتحذيرهم من السلبي.			
	أحرص على استخدام لغة بليغة في مخاطبة الأبناء.			
	أبيّن لهم الإيجابيات المترتبة على الالتزام بالسلوك الإيجابي.			
	أقدِّم لهم البديل الصحيح عند انتقاد أي سلوك سلبي لديهم.			
	أتعاون مع زوجي في مجال توجيه الأبناء ورعايتهم.			
	أراعي مقتضيات الحال والظروف الخاصة التي يمرّ بها الأبناء عند توجيههم.			
	أعرض لهم صوراً حسية مستقاة من الواقع المحسوس لتوضيح مقصدي عند توجيههم.			

ب- الإعداد التربوي للآباء من خلال مؤسسات المجتمع:

ما لم تتوفر الرعاية التربوية للآباء من قبل مؤسسات المجتمع المعنية فإنه لا يمكن أن يكتمل بناؤهم وإعدادهم وتأهيلهم -بصورة جيدة- للقيام بواجباتهم التربوية تجاه الأبناء، فالمبادرات الذاتية من الآباء لا تكفي وحدها ولا تقوم بذاتها من غير الاعتماد على أهل التخصص والخبرة والتجربة في مجال التربية والتوجيه والإرشاد، ويمكن إسناد هذه المهمة إلى الجهات المسؤولة الآتية:

- المعاهد والجامعات، من خلال عقد المحاضرات التثقيفية والتوعوية في مجال رعاية الأبناء وتوجيههم، ويمكن أن يُفرد لهذا الغرض مساق خاص يدرسه الطلبة المقبلون على الزواج وتكوين أسرة وتحمل مسؤولية تربية الأبناء، حتى لا ينخرطوا في الحياة الزوجية دون توعية وتثقيف. ومن الضروري أن يستمر تدريب الآباء بعد ذلك من خلال محاضرات محددة العناوين، وورش عمل ودورات تدريبية تقوم على أساس التفاعل والمناقشة والتطبيقات العملية، ولا تقتصر على تقديم معلومات ونصائح ذات طابع نظري.
- من خلال مجالس الآباء المشكّلة في المدارس يمكن الاستعانة بأهل الاختصاص لمساعدة الآباء وإرشادهم، والعمل على تحسين أدائهم في مجال التوجيه التربوي للأبناء، ويمكن أن يتم ذلك من خلال توزيع نشرات تربوية خاصة وعقد محاضرات تعالج مشكلات تربوية متعددة يحضرها الآباء في المدارس ويتناقشون مع الأساتذة، ويتبادلون الخبرات والنصائح فيما بينهم، بما يثري حصيلتهم التربوية وينعكس إيجاباً على أدائهم في توجيه الأبناء.
- الإعلام الإسلامي عبر فضائياته المتعددة ومواقعه الإلكترونية ومجلاته وصحفه، لا بد أن ينهض ويتحمل المسؤولية -بجدية- تجاه رعاية الآباء وتأهيلهم، من أجل دعم وإثراء وترقية دورهم في ممارسة التوجيه التربوي

للأبناء. ومن خلال متابعة الإعلام الإسلامي في واقعنا اليوم يلحظ امتلاكه لطاقات بشرية وموارد مادية كافية تمكنّه من أداء دوره في هذا المجال. وما نحتاجه اليوم -بالفعل- تنسيق جهود المخلصين وجمعها على خطة استراتيجية لتحقيق أهدافها المتعددة والشاملة، التي يُفترض أن يكون من أولوياتها بناء الشخصية المسلمة الفاعلة والإيجابية، والقيام بتطوير أداء الأسرة المسلمة من منطلق اعتبارها المسؤول الأول والأخير عن تربية الأبناء وتهيئتهم للعيش والانخراط الفاعل في المجتمع.

- من الضروري جداً إحياء الدور التربوي للمساجد في بلاد المسلمين، بحيث يشارك بوعي وفاعلية -عبر خطبة الجمعة والدروس والمواعظ والمحاضرات الخاصة- في تربية الأبناء وإعداد الآباء للقيام بدورهم في توجيه الأبناء ورعايتهم. وقد غدا المسجد اليوم أكثر انفتاحاً على جميع مؤسسات المجتمع الثقافية والتربوية، حتى شكَّل حاضنة لمجهودات المخلصين، وبدأ يستعيد دوره التربوي شيئاً فشيئاً، ودليل ذلك: دوره الكبير في إحداث الصحوة الإسلامية العارمة التي نلحظها في جميع بلاد المسلمين في الدعوة إلى الله وإرشاد الناس وهدايتهم إلى أبواب الخير، وهي عمليات مرادفة تماماً -في حقيقتها وطبيعتها- لتربية الناس وتوجيههم وإصلاح نفوسهم، وليس أدلَّ على ذلك من أن كثيراً من العلماء الدعاة أثّروا كثيراً في نفوس الناس في مراحلهم العمرية جميعها، وقد تفوّق كثيرٌ منهم -في هذا المجال- على كثير من الذين اختصوا في مجال التربية واشتغلوا بها، لما اتَّصفوا به من علمٍ وسعة اطلاع وحكمةٍ وبلاغة في مخاطبة الناس وإرشادهم.

خاتمة:

عرض القرآن الكريم لأنموذج راقٍ -شكلاً ومضموناً- من التوجيه التربوي عبر خطاب الآباء لأبنائهم. وإذا تمت محاكاة هذا الأنموذج من قِبل الأسرة المسلمة

المعاصرة، فإن ذلك يسهم بفاعلية في تطوير أدائهم في مجال التوجيه التربوي للأبناء، ويمكن استثمار ذلك الأنموذج من خلال اجتهاد الآباء في دراسته بعمق حتى يمارسوا دورهم التربوي على هدي وبصيرة، وفي هذا الإطار يحتاجون إلى دعم مؤسسات المجتمع التعليمية والثقافية التي يفترض أن تجتهد في إعدادهم وتأهيلهم، ليكونوا قادرين على أداء واجباتهم التربوية تجاه الأبناء بكفاءة.

والجديد في الدراسة الحالية أنها:

- ركّزت على استنباط التوجيهات التربوية في مجالاتها المتعددة من خلال خطاب الآباء الموجه للأبناء في القرآن الكريم ولم تقتصر على سورة لقمان.
- استخرجت ما يترتب على الاتجاهات التربوية من اتجاهات سلوكية ينبغي أن يجتهد الآباء في تعزيزها لدى أبنائهم، فضلاً عن الإرشادات الموجِّهة لممارسات الآباء التربوية تجاه الأبناء.
- دعّمت الدراسة المضامين التربوية والتوجيهات التربوية بأدلة مستفاضة من شروح كثير من التفاسير وأحاديث الرسول ﷺ، وحرصت على استنباط عدد من الفوائد التربوية المتضمنة في خطاب الآباء للأبناء.
- استخدمت منهجي: التحليل النوعي والبنائي.
- تجاوزت الجانب التنظيري التأصيلي إلى اقتراح آليات عملية محددة لتطوير التوجيه التربوي للأسرة المسلمة في واقعنا المعاصر، تقوم على أساس التكامل والتساند بين الجهد الذاتي للآباء -بقصد ترقية إمكاناتهم وكفاءاتهم التربوية- وجهد مؤسسات المجتمع كالمعاهد والجامعات ووسائل الإعلام والمساجد، وقدمت تصوراً محدداً لترقية الخطاب التربوي للآباء من الناحية الفنية، واستحضرت أنموذج الخطاب الأبوي القائم على الانسجام والتوافق والتعاون بين الزوجين.

- ولاستكمال حلقات الموضوع الذي تم تناوله، يقترح الباحث إجراء الدراسات الآتية:

- تقويم أساليب الأسرة المسلمة في التوجيه التربوي للأبناء: دراسة تقويمية في ضوء معايير مستمدة من القرآن الكريم.

- واقع العلاقة الإنسانية بين الآباء والأبناء (الأسرة الفلسطينية: دراسة حالة).

- درجة ممارسة الأسرة المسلمة لمهارات التواصل التربوي مع الأبناء: دراسة تقويمية في ضوء السنة النبوية المطهّرة.

- ملامح الخطاب التربوي الأبوي الموجّه للأبناء كما جاءت في التراث الإسلامي.

obeikan.com